من شواغل عالمنا المعاصر: الفقر والحاجة

" بَيْنَ المَزَابِل"

حِينَ يُرخِي اللَّـيْـلُ سُدُولَهُ عَلَى المدينة, ينتشر في شوارعها عدد غير قليل من ذوي الفاقة يبحثون عن رزقهم.... في المزابل !

أرخى الليل سدوله على المدينة، و اختفى جيش العاملين في منازلهم، و أقفرت الشـــوارع و سكنتها الرياح، فانبعث عندئذ عالم آخر أشباحه أقرب إلى الأطياف و الخيالات منهم من العباد . و لعل أغرب الأطياف فيها طيف باحث المزابل.

إنّـك تراه يغادر كوخه في " الجبل الأحمر" أو في إحدى مدن القصدير التي تحيط بالعاصمة، يرتدي أسمالا، و يحمل بيده أو على ظهره قفة قديمة، يربط بين مقبضيها حبلا يتيح لحاملها مسكها بيد واحدة بينما تمسك اليد الأخرى بقضيب حديدي طويل معقوف في أحد طرفيه. ثم تراه يمشي الهوينا لا يسرع في خطوته، لأن الليل طويل، و لا داعي للسرعة. إنه لا ينظر إلى السماء، سواء أكانت صافية أم تغشّيها السحب و لا ينظر إلى أمامه لأن كل همّه في الأرض التي هي مصدر الثروة من كل صنف. و قد يحمل معه إن كان من ذوي الثراء و السّعة من بين أهل فنّه و صناعته مصباحا يساعده على البحث.

انه لا يبحث عن بقايا المأكولات، فهي لا تجديه نفعا. و لكنه يبحث عن أشياء قد تكون ثمينة عنده ... يبحث عن قوارير فارغة أو علب من الصفيح أو خرق من القماش ، أو صحون و أطباق قديمة، أو سدادات من الفلين، أو مفاتيح علب مستعملة.

و يبيت الرجل يحرّك أكداس الزبل بيد و يلتقط بالأخرى مكتشفاته ليضعها في القفة، و يبيت ينتقل من كدس إلى كدس و من زقاق إلى زقاق، و من شارع إلى شارع، إلى أن تمتلئ قفته. وقد يمضي اللّيل دون أن يبارح حيّا واحد. ويسعفه الحظ أحيانا فيمتلئ وطابه بسرعة. و لو شاهدته مرّة عند عثوره على "كنز" مثل سكين، أو شوكة، لرأيت البِشر يعلو

وجهه و بريقا يلمع في عينيه و لرأيته بعد ذلك يقلّب "كنزه" على ضوء المصباح، و يقوّمه حتى يدرك الثمن الذي يمكن أن يحصل عليه ببيعه غدا في سوق الخردة.

و هكذا يُمضي اللّـيل مُنكبّا على المزابل، حتى إذا ما وجد الكفاية قفل إلى كُوخه مُتعبا مكدودا، و ظهره يرزح تحت ثقل القُفّـة. و يبلغ كوخه، فـيُلقي ببـضاعته في ركن و يُلقي بنفسه في ركن آخر لينعم بشيء من الراحة إلى أن تطلع الشمس عـلى الدنيا.

الحبيب بولعراس (باختصار)

الشرح :

1) أرخى الليل سدوله : السدل هو الستر فظلمة الليل كأنها ستر تخفي عنا ضوء النهار.
2) أقفرت الشوارع : خلت من الناس.
3) انبعث عالم آخر : اختفى الناس الذين يعملون بالنهار و برز آخرون يعملون بالليل.
4) الأطياف: الطيف هو ما تراه في منامك من خيال و لا يبقى منه في ذهنك إلا صورة غير واضحة. و الذين يفتشون المزابل ليلا تحت جناح الظلام لا تبصر إلا أشباحاهم
5) من القصدير: الأحياء الفقيرة المقامة في أطراف المدينة و المبنية غالبا بالقصدير و الصفيح هو القصدير أيضا.
6) يرتدي أسمالا : أي ثيابا قديمة بالية،مرقعة ـ مفردة السمل .
7) كل همه في الأرض : بغية باحث المزابل ما يجده على الأرض وسط المزابل, فلا يهمه من أمر السماء شيء.
8) إن كان من ذوي الثراء و السعة من بين أل فنه و صناعته: الثراء : الغني و كثرة الرزق و باحث المزابل محروم منها إنما هنالك في هذه الطائفة من هو أقل بؤسا من غيره إذ هو يملك ما لا يملكه غيره : فيملك ما لا يملكه غيره : فيملك مصباحا يستنير به عند تفتيشه صناديق الزبلة.

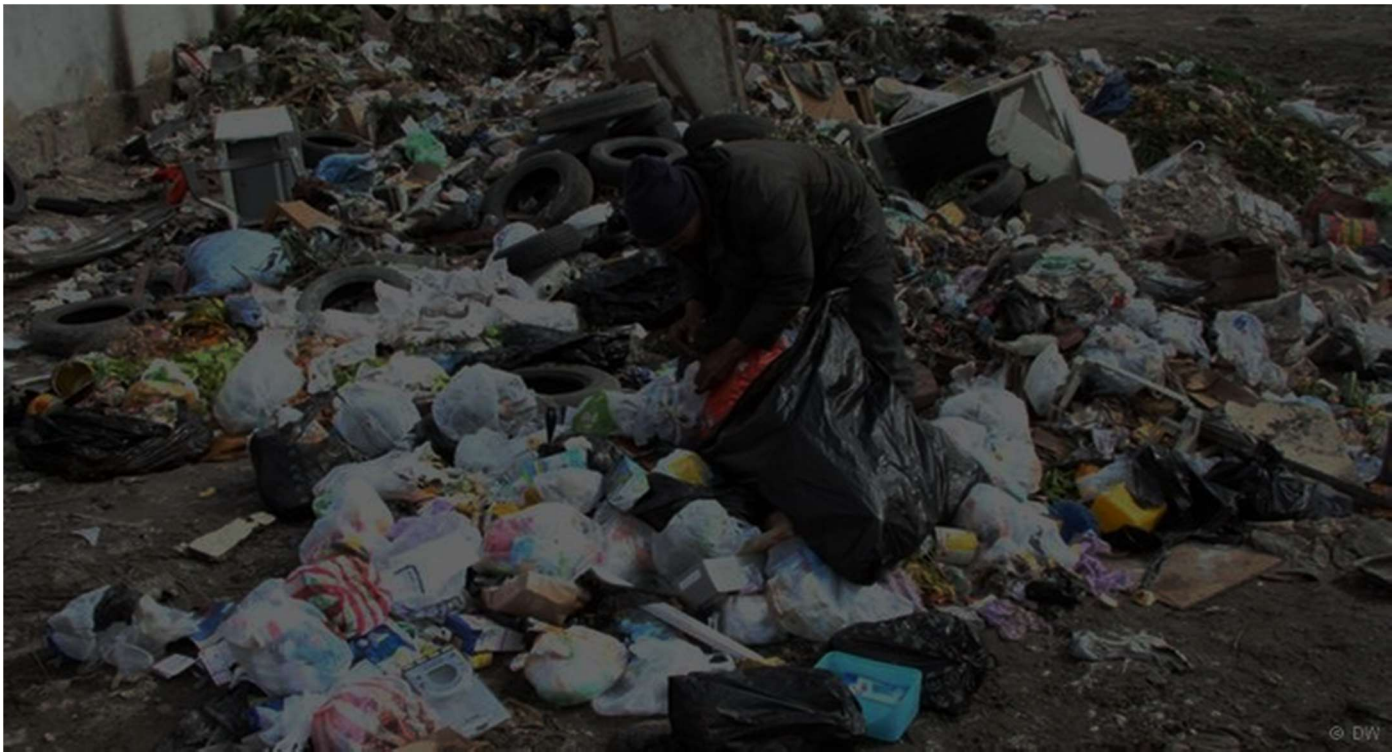

يا رب أسعد
كل حزين ،
واغن كل فقير
،وفرج كرب
كل مهموم